

مشكلة الترجمة في التعليم العالي – الجزائر أنموذجا –

Translation problem in higher education – Algeria a model -

طهراوي سعيد

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، bright.mind@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/01/05 تاريخ القبول: 2020/03/14 تاريخ النشر: 2020/03/20

ملخص:

قد يبدو مثيراً للسخرية أنه في العالم العربي، غالباً ما تتسم بالثقافة والتقاليد كما نجد أن رمز هذه الثقافة هو اللغة العربية، والذي يواجه تحديات شديدة في مؤسسات التعليم العالي؛ ومن بين الأسباب الجذرية لتدهور اللغة في المنطقة هي في الأساس داخلية؛ فبعد رحيل القوى الاستعمارية، من الواضح أن وتيرة عملية التعريب الشامل في الجامعات بطيئة جداً على الرغم من سعيها الجاد على قدم وساق.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، التعريب، التعليم العالي، الوطن العربي.

Abstract:

It might seem quite ironic that in a region such as the Arab World, often being characterized as bound by its culture and traditions, we find the symbol of this culture, the Arabic language, faces stiff challenges in the institutions of higher education. The root causes of the deterioration of the Arabic language in universities in the region are mainly internal. After the departure of the colonial powers, the pace of the process of comprehensive Arabization in the universities, except for few countries, is obviously slow.

Keywords: Translation, Higher Education ,Arabisation ,Arab world

1. مقدمة:

إنّ الحفاظ على لغتنا العربية واجب مقدّس، كونها لغة قرآنا الكريم، إذ لولا ذلك الكتاب العربي المبين الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام تأييداً لدعوته ودستوراً لأمته لكنّا في ظلال مبين، كما أنّ اللغة العربية هي لسان حال حضارتنا العريقة وكذا هويتنا القومية وذلك باعتبارها مرجعية لتراثنا الفكري برمته.

فقد ازدهرت الترجمة في عصر الجاحظ الذي كان يوصي بضرورة إلمام المترجم بالموضوع إلى جانب الحفاظ على العنصر البياني فيها، كما نوّه إلى وجوب اتقان المترجم اللغة المنقولة والمنقول إليها، دون إغفال سلامة اللغة العربية من الأخطاء والشوائب. إلا أن اللغة العربية اليوم تعاني ركوداً وجموداً فاضحين وذلك ليس لعب فيها، وإنما ذلك عائد إلى إهمالنا لها استكباراً منّا.

فقد أقرت تقارير صدرت مؤخراً أن حركة الترجمة في الوطن العربي عانت كثيراً من ضعف واضح منذ وقت طويل، إذ ذكر التقرير الإحصائي الصادر عن أحد تقارير التنمية الإنسانية العربية بأن متوسط عدد الكتب المترجمة هو 4.4 كتاب لكل مليون من سكان الوطن العربي، بينما بلغ 915 كتاباً في المجر، و29 كتاباً لكل مليون في إسبانيا. وبالتالي فإنه من المفترض أن يكون حافظاً لنا كعرب أن يجري تكثيف جهود الترجمة العربية من الاهتمام بمجالات التعريب عند الحاجة لأفضل كتاب شامل معتمد عالمياً في مجال علمي معين يتم اختياره من قبل متخصصين في المجال نفسه، والترجمة مقدمة للإبداع والبحث العلمي وكلنا نعلم بأن العرب هم الذين بدأوا أولاً بترجمة ثقافات وعلوم الآخرين إلى أنفسهم قبل أن ينتقلوا إلى الإبداع والبحث، وكان الإنسان لا يمكن أن يبدع ويخترع دون أن يفكر باللغة التي يعرفها جيداً.

ومن هنا يتسنى لنا طرح التساؤلات التالية:

- ما معنى الترجمة والتعريب؟
- وما هو واقع تعريب التعليم العالي في الوطن العربي؟
- ما هي حجج المؤيدين للتعريب والمعارضين له؟
- ما هي أهم السبل الناجعة للنهوض بمجال تعريب التعليم العالي؟

إذا سوف نحاول في هذا المقال أن نتعرف مسألة تعريب التعليم العالي في الوطن العربي عامة والجزائر خاصة، وأن نتبين التعريب مفهوماً وأهدافاً وأشكالاتاً، موضحين حجج المؤيدين له والمعارضين والمتريثين، ومشيرين إلى مستلزمات التعريب حتى يحقق الأهداف المرسومة له.

2. المصطلح:

الاصطلاح لغة هو التّصالح، وتصالح القوم أي قام السّلام والصلح بينهم؛ كما ورد في المعجم الوسيط اصطلاح القوم: زال ما بينهم من خلاف، واصطلاحوا على الأمر: تعارفوا واتفقوا. والاصطلاح اتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته. (مصطفى، 1989، صفحة 225)

أما الجرجاني في كتابه "التعريفات"، فيرى بأن المصطلح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وإخراج اللفظ منه، وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح لفظ معيّن بين قوم معينين". (الديداوي، الترجمة و التعريب، 2002، صفحة 52)

فأما ما ابتدر به الجرجاني تعريفه للمصطلح بأنه اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وإخراج اللفظ منه، إشارة إلى أن المصطلح يُنقل من معناه اللغوي إلى حقل استعماله فيثبت ويستقر، وهذا ما أشار إليه الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" بقوله: "إنما سُمي شوال شوالاً لأن النوق شالت بأذناها فيه، فإن قال قائل: قد يتفق أن يكون شوال في وقت لا تشول الناقة بذنها فيه، فلم يبقى هذا الاسم له سمة، حيث اتفق أن شالت النوق بأذناها فيه، فبقي عليه كالتّمة". (الجاحظ، 1975، صفحة 169)

وأما العلم الذي يقنن المصطلح ويهتم بدراسته، فهو علم المصطلح أو المصطلحيّات كما هو شائع ومعروف لدى أهل الاختصاص، ويعتبر هذا العلم الأكثر أهميّة في وقتنا الراهن لما له من أهميّة بالغة في تناقل المستجدّات في شتى المجالات العلمية، وخصوصاً لدى الشعوب العربية التي تقف وقفة الغريب وسط أمم راقية، لغتهم ليست إلا مصطلحات تصاغ حسب ما يتوافق وطبيعتهم المعرفية.

وقد عرّف " هيلموت فيلبر"، أحد أبرز رواد مدرسة فيينا، المصطلحيّات بقوله: " إنه العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبّر عنها وهو علم مشترك بين علوم اللغة والمنطق والإعلامية وحقول التخصص العلمي، ويهم هذا العلم المتخصصين في العلوم والتقنيات، والمترجمين، والعاملين في الإعلاميات وكل من له علاقة بالاتصالات المهنية والتعاون العلمي". (القاسمي، 1987، الصفحات 17-18)

ويرى "ساغر" أن المصطلحيّات هي دراسة وميدان نشاط يُعنى بجمع ووصف وتجهيز وتقديم مصطلحات، أي بنود معجميّة تنتمي إلى مجالات استعمال متخصصة في لغة واحدة أو أكثر". (الديداوي، الترجمة و التواصل، 2000، صفحة 47) ويمر المصطلح بمراحل عدّة، أول هذه الأخيرة وضعه وصياغته حتى يكتب له الوجود، والوضع هو إعداد جميع الفعاليات المتصلة بجميع المصطلحات وتحليلها وتنسيقها، ومعرفة مرادفاتهما وتعريفاتها باللغة ذاتها أو مقابلاتها بلغة أخرى.

وكذلك جمع المفاهيم الخاصة بحقل معين من حقول المعرفة ودراسة العلاقة بين هذه المفاهيم، ثم وصف الاستعمال الموجود فعلا للتعبير عن المفهوم بمصطلح ما أو تخصيص مصطلح معين للمفهوم الواحد. (القاسمي، 1987، صفحة 33)

ولإعداد المصطلحات ووضعها ثلاث مراحل أساسية هي كالآتي:

- الدراسة الوصفية للمصطلحات واستعمالها الفعلي في الحقل والميدان الذي تنشط فيه.
- اعتماد العمليات المعيارية المتمثلة في تحسين استعمال المصطلحات الدقيقة ووضعها أمام المفاهيم العلمية كخطوة فعّالة وأساسية في إنتاج المصطلحات المصنّقة.
- العمل على تعميم الاستعمال الواسع للمصطلحات ونشرها، بالإضافة إلى التوصيات الخاصة بها التي وضعتها الهيئات التي لها سلطة توحيدية، كالجامع اللغوية التي لها القدرة على التوحيد المصطلحي وتعميم استعماله.

ويعرف " شحاذة الخوري " خبير الترجمة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس، وضع المصطلح بقوله: " إن وضع المصطلح هو إيجاد المقابل العربي للمصطلح العلمي باللغة الأجنبية ". (الخوري، 1989، صفحة 174) ويتم ذلك بطرائق تختص بها العربية وهي:

■ **الاشتقاق:** وهو نزع كلمة من كلمة أخرى على أن يكون بينهما توافق في اللفظ والمعنى. وهذا مثل كلمة ملعب من لعب ومصعد من صعد.

■ **الترجمة:** وهي نقل اللفظ الأجنبي بمعناه إلى ما يقابله في اللغة العربية، مثل كلمة La langue اللّغة.

■ **النّحت:** وهو انتزاع أحرف من كلمتين أو أكثر وجعلهما كلمة واحدة برأسها، شرط أن يتناسب كل من المنحوت والمنحوت منه في اللفظ والمعنى، مثل كلمة عبشمي من بني عبد شمس، والأعدقاء من الأعداء الأصدقاء، وهو مصطلح جديد يتردد كثيراً في الهيئات الدولية وخصوصاً السياسية منها إشارة إلى الدول الشقيقة التي تتنازع فيما بينها.

■ **المجاز:** ويعرفه الدكتور " مولاي علي بوخاتم "، أستاذ اللسانيات والسيميائيات والمتخصص في ميدان المصطلح والمصطلحية، بأن المجاز هو الوسيلة الأساسية التي يستعين بها اللغويون بغية إثراء نفسها بنفسها بحيث تغدو هذه المصطلحات تنحرف عن مدلولاتها الأساسية لتستوعب دلالات جديدة لا تربطها بالدلالات الأصلية سوى وشائج المناسبة والمشابهة وإن شئنا التوافق والتطابق. (بوخاتم، 2004، صفحة 130)

■ **الإحياء:** وهو وسيلة حديثة يعتمد اللغويون والنقاد كثيراً في توليد المصطلحات اللغوية. ويعرفه "عبد السلام المسدي" في كتابه " الازدواج والمماثلة في المصطلح النقدي " بأنه ابتعاث اللفظ القديم ومحاكاة معناه العلمي الموروث بمعنى علمي حديث يضاهيه. (بوخاتم، 2004، صفحة 133)

■ **التعريب:** وهو أكثر الوسائل اللغوية من حيث الاستعمال، خصوصاً عندما يتعلق الأمر باقتراض كلمة أجنبية لا عهد بها للغة المترجم إليها، وهذا حتى تسدّ الفجوة المفاهيمية.

والتعريب هو نسج المصطلح الأجنبي وصياغته على المنوال العربي مع المحافظة على جذوره الأصلية. ومن الأمثلة الناجحة في الاقتباس بالتعريب. (الديداوي، الترجمة و التعريب، 2002، صفحة 86)

Manœuvre	مناورة
Télévision	تلفزيون
Mascarade	مسخرة
Satellite	ساتل

3. التّعريب:

نبتدئ موضوعنا هذا بالحديث أولاً عن التعريب مفهوماً، فالتعريب لغة مصدر للفعل عَرَّبَ، وعَرَّبَ بمعنى أبان وأفصح، وعَرَّبَ عن الرجل إذا تكلم بحجته...، ويقال: عَرَّبْتَ له الكلام تعريبا إذا بينته له، وعَرَّبَهُ: أي علّمه العربية، وتعريب الاسم الأعجمي أن تنفوه به العرب على منهاجها. (منظور، محمد، 2002، صفحة 2865)

ولقد تدرّج لفظ " عَرَّبَ " بهذه المعاني المتقاربة بعض الشيء منذ القديم إلى معنى ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى العربية، وتعليم العلوم الأجنبية بالعربية. والتعريب اصطلاحاً إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية لتعليم اللغة العربية واستخدامها في ميادين المعرفة البشرية كافة.

ويقصد بالتعريب حالياً استعمال اللغة العربية لغة قومية في الوطن العربي للتعبير عن المفاهيم، واستخدامها في التعليم بجميع مراحلها، والبحث العلمي بمختلف فروعها وتخصصاته، واستخدامها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربي ومرافقه كافة. (صابر، 1982، صفحة 87)

ومنهم من يوسّع دائرة التعريب ليرى أن للتعريب مفهوماً جوانب فنية وقومية واجتماعية وسياسية وحضارية، وقد يتداخل مفهوم التعريب مع مفهوم الترجمة فتعرض قضايا فنية حول طبيعة اللغة وطاقاتها الدلالية والاستيعابية وآلياتها الذاتية وحول إعداد المترجمين وتدريبهم ... إلخ، وفي هذا الإطار تكون قضية التعريب قضية علاقات فكرية وثقافية مع اللغات الأخرى أي قضية عربية أجنبية.

وقد يعني التعريبُ دعمَ الوجود العربي والوحدة العربية بمعنى شمولية استعمال اللغة العربية في الوطن العربي نفسه على المستوى الجغرافي والقطاعي لقطاع التعليم والبحوث والإدارة وتوحيد المصطلح العربي. وفي ما يخص موضوعنا هذا، فإن ما نأسف عليه اليوم هو تلك الإشكالية المتعلقة بإهمال اللغة العربية واعتماد لغة أخرى مكانها في التدريس الجامعي، ولا تتجلى الإشكالية في التعريب لأنه الطريق الطبيعي والأمر البديهي، وإنما في عدم استخدام العربية أداة للتواصل بين أبناء الأمة في معاهدهم وجامعاتهم، فقد "ابثلينا - كما يقول يوسف الحاج في كتابته في "فلسفة اللغة"- بإهمالنا للعربية، بغرورنا أن سواها أعمق وأبهي وأفتى وأقرب إلى مقرّمات الحضارة الحديثة، أسمعنا هذه المعزوفات فابثلينا بعقدة التكابر حيال لساننا، وبعقدة التصاغر حيال لسانهم، والنتيجة صغرنا في أنفسنا دون أن نكبر في أنفس الحاكمين حتى صرنا لا ننتمي لبيان عربي ولا لبلاغة عربية". (الحاج، 1967، صفحة 311)

ويتابع قائلاً: "لا أبالغ إذا قلت إن معظم مشكلاتنا الاجتماعية سببه التنازل عن واحدنا الأحد، عن تاريخنا الواحد، عن لساننا الواحد، عن أرضنا الواحدة، عن تراثنا الواحد، عن إرادتنا الواحدة. وإن كل أمة عزيزة الجانب، أبية الخلق، ثابتة الإرادة، تقدّم لغتها على لغة سواها، ولا تتناول أشياء الأخرى إلا من بعد أشيائها القومية، أي من وراء حدودها الوطنية". (الحاج، 1967، صفحة 06)

كما أن للتعريب هدفان وجيهان، "كون لسان أجنبي محلّ محلّ اللسان الأصلي، وثانيهما: كون هذا اللسان الأصلي منقطعاً عن اللغات بسبب جمود المجتمع". (العروي، 1988، صفحة 214)

فالهدف الأول للتعريب مردّه لظاهرة اجتماعية تنشأ عن القهر والاحتلال الأجنبي بحيث يصبح اللسانُ الدخيلُ عنوانَ التقدّم و العلم و الأناقة، و يصبح اللسانُ الأصلي سمة كل ما هو بلدي متخلف، فنرى الموظف يخاطب الزبون بلسان أجنبي ليظهر نفوذه، و الأمّ تخاطب ابنها باللسان نفسه للإعلان عن انتمائها إلى طبقة راقية، و الطالب يقحم الكلمات الأجنبية ليثبت ثقافته العصرية إلى آخر ما هنالك من المظاهر المؤسفة المضحكة التي نلاحظها اليوم في المغرب العربي وفي بعض الأوساط المشرقية على حدّ تعبير الباحث المغربي عبد الله العروي. ومن هنا نستنتج بأن التعريب واجب وضروري وذلك من أجل الحفاظ على

الوحدة الوطنية وإيقاف تيارات الخطر التي تحاول تقسيم المجتمع العربي وتفكيكه لغويا وثقافيا، فاتباع هذا الإجراء اللغوي يعتبر خطوة ناجحة ذات بعد سياسي بحث.

أما الهدف الثاني والدافع الرئيس من أجل اعتماد إجراء التعريب ألا وهو انقطاع اللسان الأصلي عن اللغات الأخرى بسبب جمود المجتمع، وذلك كون المجتمع العربي يقف وقفة المتفرج الذي اكتفى بلغته القومية دون محاولة تطويرها لمواكبة العصر وذلك من خلال توحيد المصطلح المستجد، وخصوصا عندما نكون بصدد التحدث عن ذلك الزخم الهائل من المصطلحات الأجنبية الجديدة التي أثقلت كاهل مجامعنا اللغوية.

4. خاتمة:

وفي الختام يمكننا أن نخلص بالنتائج التالية:

- العمل على إصدار مجلات متخصصة تُعنى بأمور الترجمة تابعة لإدارة الجامعة ليكون دورها التوعوية والتحسيس.
- إجراء دورات تدريبية لفائدة الطلبة والأساتذة من أجل مواكبة العلوم والمعارف المستجدة.
- تشجيع المترجمين بمنحهم جوائز تحفيزية تليق والمجهود المبذول، وذلك مثل جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمية للترجمة، وذلك من أجل خلق روح التنافس وبعث روح العمل والمواظبة.
- إقناع السلطات المعنية بإدماج الترجمة والتعريب كوحدة دراسية أو درس من الدروس النموذجية في المناهج الدراسية في الأطوار الأساسية أو الثانوية وذلك من أجل توعية النشء تجاه أهمية الترجمة والتعريب في وقتنا الراهن.
- منح فرص لطلبة الجامعة وتحديدًا طلبة التخصص بالاكتكاك بطلبة من كليات وجامعات أخرى عربية وأجنبية في دورات وملتقيات فكرية من أجل التبادل الفكري والمعرفي في ذات المجال.
- التكتيف من الندوات والمحاضرات العلمية المصحوبة بدروس تطبيقية.
- منح جوائز تحفيزية محصورة ومخصصة فقط لطلبة التخصص تقدم لأحسن عمل ترجمي للسنة.

- تحفيز الطلبة من قبل الأساتذة والأساتذة من قبل المسؤولين عن أهمية الترجمة والعمل على توفير جميع مستلزمات البحث العلمي وذلك من أجل تجاوز حالة الانغلاق على الذات والانتقال من ترجمة المصطلحات إلى ترجمة العلوم والمعارف.
- ضبط فهرس موحد عن أهم الكتب المترجمة والكتب الغير مترجمة وذلك تسهيلاً للباحث حتى لا يقع في فخ ترجمة الكتاب مرتين، فبدلاً من أن يضع وقاه هباء في البحث عما إذا كان المؤلف مترجماً أم لا فإنه يشرع في الترجمة مباشرة وذلك بالاستعانة بالفهرس المضبوط.
- تشجيع الكتابة والتأليف في جميع المجالات المعرفية سواءً أكانت أدبية أم علمية، وبالتالي إتاحة فرصة كبيرة للمترجمين بنقل هذه الكتب إلى لغات أخرى مختلفة.

5. قائمة المراجع:

- إبراهيم مصطفى. (1989). المعجم الوسيط. تركيا: دار الدعوة و النشر.
- ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (2002). لسان العرب. دار المعارف.
- أبي عثمان عمرو بن الجاحظ. (1975). البيان و التبیین. مصر: مكتبة الجاحظ.
- شحاذة الخوري. (1989). دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب. دار طلاس للتعريب.
- عبد الله العروي. (1988). ثقافتنا في ضوء التاريخ. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- علي القاسمي. (1987). مقدمة في علم المصطلح. مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- كمال يوسف الحاج. (1967). في فلسفة اللغة. بيروت: دار النهار.
- محمد ابن منظور. (2002). لسان العرب. دار المعارف.
- محمد الديدواوي. (2002). الترجمة و التعريب. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- محمد الديدواوي. (2000). الترجمة و التواصل. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- محي الدين صابر. (1982). قضايا الثقافة العربية المعاصرة. تونس: الدار العربية للكتاب.
- مولاي علي بوخاتم. (2004). المصطلح و المصطلحية. الجزائر: مكتبة الرشاد للطبع و النشر.